

أثر تعاطي المخدرات على الهوية الوطنية

(من منظور الفكر الإغترابي)

"The Impact of Drug Abuse on National Identity

(from the Perspective of Alienation)

ط د :سعدوني عبد اللطيف , جامعة محمد طاهري-بشار – sadouni.abdelatif@univ-bechar.dz

د يحيياوي سماعيل , جامعة محمد طاهري-بشار – ismail.yehyaoui @univ-bechar.dz

أ.د وسيلة عيسات , جامعة محمد طاهري-بشار – Aissat.wassila @univ-bechar.dz

تاريخ الاستقبال: 2026/07/09؛ تاريخ القبول: 2026/09/10؛ تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص: تناول هذا البحث السوسيولوجي ظاهرة تعاطي المخدرات في أوساط الشباب بالمدن الجزائرية، مركزًا على أثر هذه الظاهرة في تفكيك الهوية من منظور الفكر الإغتراب الاجتماعي وتنطلق الدراسة من إشكالية محورية مفادها: كيف يساهم تعاطي المخدرات في تعزيز مشاعر الإغتراب لدى الشباب؟ وقد تم تحليل هذه الإشكالية من خلال ربط أبعاد الإغتراب الاجتماعي (اللامعنى، العجز، العزلة، العداء، والإغتراب عن الذات) بضعف الهوية، خاصة في سياق التحولات السريعة التي يعرفها المجتمع الحضري.

وقد سعت هذه الدراسة إلى إبراز مدى مساهمة الإغتراب الاجتماعي في خلق فراغ هوياتي يدفع بالشباب نحو استهلاك المخدرات كوسيلة للهروب، وقد تم توظيف مجموعة من النظريات لتفسير الظاهرة، أبرزها نظرية دوركايم، و ميرتون، وكذا مقاربات فروم وسيمن.

وقد خلص البحث إلى أن تعاطي المخدرات ليس مجرد انحراف فردي، بل هو مؤشر على اختلالات بنيوية عميقة تمس المجتمع، وتضعف روابطه، وتدفع بالشباب إلى البحث عن بدائل وهمية للهروب من الفراغ الهوياتي كما بين أن استعادة التوازن القيمي وتفعيل مؤسسات التنشئة الاجتماعية من شأنه أن يحد من هذه الظاهرة، ويعزز بناء هوية وطنية قوية لدى الأجيال الصاعدة.

الكلمات المفتاح: تعاطي المخدرات؛ الهوية الوطنية؛ الإغتراب الاجتماعي.

This sociological study addressed the phenomenon of drug abuse among youth in Algerian cities, focusing on its impact on the disintegration of national identity from the perspective of social alienation. The study stems from a central question: How does drug abuse contribute to reinforcing feelings of alienation among youth, thereby undermining their national belonging? This issue was analyzed by linking the dimensions of social alienation (meaninglessness, powerlessness, isolation, normlessness, and self-estrangement) to the weakening of national identity, particularly in the context of the rapid transformations taking place in urban society.

The study aimed to highlight the extent to which social alienation contributes to creating an identity void that pushes youth toward drug use as a means of escape or symbolic resistance. A set of theoretical frameworks in sociology were employed, most notably Durkheim's theories on social disintegration, Merton's theory of structural strain, and the approaches of Fromm and Seeman regarding alienation and loss of meaning.

Keywords: Drug abuse; national identity.

I- تمهيد :

أوضحت ظاهرة تعاطي المخدرات من أبرز التحديات الاجتماعية التي تتهدد المجتمعات المعاصرة، خاصة في ظل ما تعرفه من تحولات بنيوية طالت القيم والهويات الجمعية ، و يعتبر تعاطي المخدرات في هذا السياق أكثر من مجرد انحراف سلوكي أو ظاهرة غير صحية ، بل مؤشر دالّ على عمق الأزمة الاجتماعية للأفراد ، حيث يعيش الفرد المدمن حالة من الانفصال المتزايد عن ذاته و مجتمعه، ما يفضي إلى هشاشة في الهوية و تراجع في الوطنية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة ضمن مقاربة سوسيولوجية ، تسعى إلى تحليل العلاقة بين تعاطي المخدرات و الاغتراب الاجتماعي، من خلال رصد تأثير الاغتراب في تفكيك الروابط الثقافية و الرمزية التي تشكل أسس الهوية.

إن هذه الدراسة تنطلق من فرضية مركزية مفادها أن المخدرات لا تُعد فقط وسيلة لتخدير الجسد، بل هي أيضًا آلية رمزية للهروب من واقع إجتماعي يعاني من التهميش، و اللامعيارية، وفقدان الانتماء. ومن هنا، فإن العلاقة بين المخدرات والهوية تتجاوز حدود الفعل الفردي لتصل إلى مستوى الأزمة البنيوية التي يعيشها المجتمع ، فالمدمن غالبًا ما يعيش حالة اغتراب مزدوج: اغتراب عن الذات و اغتراب عن الجماعة الوطنية، ما يجعله يفقد الانتماء، ويتحول إلى ذات ممزقة تُحاكي هويات مستوردة وتُفطر في رموز الهوية الوطنية.

من هذا المنطلق، تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يُسهم تعاطي المخدرات في تفكيك الهوية من خلال تعزيز مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب؟

الفرضيات :

يُسهم تعاطي المخدرات في تفكيك الهوية من خلال تعزيز مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب .

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى :

"الهوية العربية.. منجز لم ينجز!" ,

(المؤلف: د. هالة عيسى , تاريخ النشر: 2 فبراير 2024 , الناشر: مجتمع للدراسات الثقافية والتاريخية)

تناقش الكاتبة كيف أن ضعف الهوية في العالم العربي أدى إلى فراغ قيمي، مما جعل الشباب عرضة للتأثيرات السلبية مثل تعاطي المخدرات. تشير إلى أن غياب المشاريع الوطنية الجامعة ساهم في تفكك الهوية وزيادة الانحرافات السلوكية.

و يؤكد المقال على ضرورة بناء هوية وطنية شاملة وقوية كوسيلة للوقاية من الظواهر السلبية، بما في ذلك تعاطي المخدرات.

الدراسة الثانية :

"الأبعاد الاجتماعية والنفسية والتربوية لتعاطي المخدرات" - د. صلاح عبد المتعال .

(<https://www.aljazeera.net/> بتاريخ : 03.10.2004) .

يتناول المقال الأبعاد المختلفة لتعاطي المخدرات، بما في ذلك العوامل الاجتماعية والنفسية والتربوية. يشير إلى أن ضعف الانتماء الوطني والفراغ القيمي يمكن أن يسهم في زيادة معدلات التعاطي.

يبرز المقال أهمية تعزيز الهوية و القيم الأخلاقية كوسيلة للحد من تعاطي المخدرات، ويشدد على دور المؤسسات التعليمية والثقافية في هذا السياق.

الدراسة الثالثة :

تأثير الثقاف على تعاطي المخدرات والكحول بين المراهقين" – حسن العاصي .

(موقع إيلاف: نُشر بتاريخ 21 ديسمبر 2024. السبت, 17 مايو , 2025 , القاهرة)

تستعرض هذه الدراسة كيف تؤثر استراتيجيات الثقاف المختلفة (مثل الاستيعاب، الانفصال، التهميش) على معدلات تعاطي المخدرات والكحول بين المراهقين من أصول لاتينية في الولايات المتحدة. تشير النتائج إلى أن التهميش الثقافي يزيد من خطر التعاطي، مما يبرز أهمية الهوية الثقافية كعامل وقائي.

و تسلط الدراسة الضوء على أهمية تعزيز الهوية الثقافية لدى الشباب كوسيلة للوقاية من التعاطي، وتشير إلى ضرورة تبني سياسات تعليمية و إجتماعية تدعم هذا الهدف.

الدراسة الرابعة :

"The Legislation of Morality" (المؤلف: Troy Duster , سنة النشر: 1970 , الناشر: Free Press)

ناقش الكتاب كيف أن السياسات القانونية المتعلقة بالمخدرات في الولايات المتحدة تأثرت بالتحيزات العرقية و الإجتماعية، مما أثر على هوية الأقليات , و يُظهر الكتاب كيف أن السياسات التمييزية يمكن أن تؤدي إلى تآكل الهوية و الشعور بالانتماء لدى بعض الفئات.

الدراسة الخامسة :

., "Smoke and Mirrors: The War on Drugs and the Politics of Failure"

(اسم المؤلف: Dan Baum , سنة النشر: 1996 'دار النشر: Little, Brown and Company 'مكان النشر: (Boston, USA) .

ينتقد الكتاب السياسات الأمريكية في الحرب على المخدرات، مشيراً إلى أنها فشلت في معالجة المشكلة وأثرت سلباً على المجتمعات، مما أدى إلى تآكل الهوية الوطنية.

إجتماعي يُبرز الكتاب أهمية تبني سياسات عادلة وشاملة تعزز الهوية وتحد من تعاطي المخدرات.

تُظهر هذه القراءات أهمية الهوية و الثقافية كعوامل مؤثرة في تعاطي المخدرات، وتشير إلى أن تعزيز هذه الهويات يمكن أن يكون وسيلة فعالة للوقاية من التعاطي.

"Narco Cultura" – فيلم وثائقي (2013)

المخرج: شاول شوارتز (Shaul Schwarz), سنة الإصدار: 2013, جهة الإنتاج: Parts & Labor بالتعاون مع Ocean Size Pictures و K5 International, جهة التوزيع: Cinedigm, إصدار Docurama DVD Film. مدة العرض: 103 دقائق, اللغة: الإسبانية والإنجليزية (مع ترجمة).

يستعرض الفيلم كيف أثرت ثقافة المخدرات في المكسيك على الهوية الوطنية، من خلال الموسيقى الشعبية التي تجدد تجار المخدرات. يُظهر كيف أن هذه الثقافة أصبحت جزءًا من الهوية لبعض الشباب.

و يسلط الفيلم الضوء على خطورة تمجيد ثقافة المخدرات وكيف يمكن أن تؤثر سلبًا على الهوية والقيم المجتمعية.

أولًا الاغتراب الاجتماعي :

تعريف الاغتراب الاجتماعي في الفكر السوسيولوجي.

الاغتراب الاجتماعي هو حالة شعورية وسلوكية يعاني فيها الفرد من انفصال أو انقطاع عن المجتمع، أو عن جماعته الأصلية، أو عن ذاته الحقيقية، بحيث يشعر بالعزلة، والالانتماء، وانعدام المعنى في الأدوار الاجتماعية التي يؤديها (فروم، 2006، ص. 91).

يُنظر إلى الاغتراب في علم الاجتماع بوصفه أحد مؤشرات التفكك الاجتماعي الذي يصيب الأفراد في المجتمعات الحديثة نتيجة التغيرات البنوية المتسارعة، كالعولمة، والتحول الصناعي، والحداثة، وما يرافقها من تحلل القيم التقليدية (دوركايم، 2005، ص. 115).

وقد تناول العديد من المفكرين هذا المفهوم، منهم كارل ماركس الذي ربطه بالعمل المستلب في النظام الرأسمالي (Marx, 1844)، وإميل دوركايم الذي تناوله من زاوية اللامعيارية (Durkheim, 1897)، وإريك فروم الذي رآه كنتيجة لفقدان الإنسان لذاته في المجتمعات الحديثة (Fromm, 1955، ص. 43).

أما التحليل الأكثر تركيبيًا وشمولًا فقد جاء على يد عالم الاجتماع الأمريكي ميلفن سيمن، فقد قدّم في مقاله الكلاسيكي سنة 1959 بعنوان "حول معنى الاغتراب" (On the Meaning of Alienation) تعريفًا تحليليًا للاغتراب الاجتماعي، واعتبره حالة يمر بها الفرد عندما تنقطع علاقته الرمزية أو الشعورية بالمجتمع، أو عندما يشعر بأنه عاجز عن فهم العالم الذي يعيش فيه أو التأثير فيه (Seeman, 1959, p. 786). كما يرى سيمن أن الاغتراب ليس مجرد موقف نفسي أو أزمة وجودية، بل هو نتاج اجتماعي ناتج عن ظروف التحديث، والصراع القيمي، والتهميش، مما يجعل الأفراد، خصوصًا الشباب، يعيشون حالة من الانفصال عن ذواتهم ومجتمعهم وهويتهم.

أبعاد الاغتراب الاجتماعي وفقًا لميلفن سيمن :

حدد ميلفن سيمن خمسة أبعاد رئيسية للاغتراب تمثل كل منها شكلاً من أشكال الانفصال أو العجز الذي يشعر به الفرد داخل المجتمع، وهي:

اللامعنى (Meaninglessness): يشير إلى شعور الفرد بأن ما يقوم به من أفعال لا طائل منه، وأن العالم الاجتماعي الذي يعيش فيه يفتقر إلى المنطق أو الهدف. يشعر الشخص أن مشاركته في الحياة الاجتماعية لا تحقق له قيمة واضحة أو نتيجة مفهومة.

مثال: الطالب الذي لا يعرف لماذا يدرس أو ما الجدوى من تعليمه في ظل انسداد الأفق الاجتماعي والبطالة (Seeman, 1959, p. 786).

اللامعيارية (Normlessness): ترتبط بحالة تفكك المعايير الاجتماعية، بحيث لا تعود هناك قواعد واضحة تحكم السلوك، أو يكون هناك تردد في الالتزام بها، وهي قريبة من مفهوم الأنومي عند دوركايم. يشعر الفرد أن الوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف غير فعالة، فيلجأ إلى وسائل منحرفة.

مثال: الشاب الذي يرى أن النجاح لا يتحقق إلا بالغش أو المحسوبية، لا بالعمل أو الاجتهاد (Seeman, 1959, p. 788).

فقدان الانتماء (Social Isolation): يُقصد به شعور الفرد بالغرابة عن الجماعة، أو انعدام الروابط الاجتماعية، سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو الجماعات المرجعية، مما يؤثر على الإحساس بالهوية والاندماج الاجتماعي.

مثال: المهاجر أو العاطل عن العمل الذي يشعر أنه غير مرحب به أو لا دور له في مجتمعه (Seeman, 1959, p. 789).

فقدان التحكم (Powerlessness): يدل على شعور الفرد بعدم القدرة على التأثير في مجريات حياته أو في القرارات التي تمس مصيره، نتيجة الإحساس بأن القوى الخارجية - سياسية، اقتصادية، أو مؤسسية - تفرض عليه مسارات لا يستطيع تغييرها.

مثال: المواطن الذي يشعر أن صوته لا يغير شيئاً، أو أن النظام السياسي لا يمثل تطلعاته (Seeman, 1959, p. 784).

فقدان الهوية (Self-estrangement): يعني ابتعاد الفرد عن ذاته الحقيقية، حيث يعيش أدواراً مفروضة عليه أو مناقضة لطبيعته وقناعاته، دون أن يجد في أفعاله أي انعكاس لذاته.

مثال: الموظف الذي يمارس عملاً يكرهه فقط من أجل لقمة العيش، دون أن يجد فيه ذاته (Seeman, 1959, p. 790).

الاغتراب الاجتماعي كمدخل نظري لفهم الإدمان .

يعدّ مفهوم الاغتراب الاجتماعي من المفاهيم الخورية في علم الاجتماع، حيث يُشير إلى فقدان الفرد لعلاقته التفاعلية بالأنساق الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها (أبو زيد، 2009، ص. 77).

وينتج هذا الاغتراب غالباً عن انخيار أو فقدان المعايير الاجتماعية التي تُوجّه السلوك، وهي الحالة التي وصفها دوركايم بمفهوم "اللامعيارية" (Anomie (Durkheim, 1897)، مما يجعله مدخلاً مناسباً لفهم ظاهرة الإدمان على المخدرات، لا سيما عند ربط أبعاد الاغتراب - كما حددها ميلفن سيمن - بالسلوك الإدماني لدى الأفراد .

فاللامعنى يفقد المدمن فيه القدرة على فهم القيم المجتمعية أو الانخراط فيها، ما يجعله ينظر إلى العالم من منظور عبثي، ويفتقد لأي بوصلة قيمية و اللامعيارية تنتج عن غياب المعايير الضابطة للسلوك، وهي مناخ مناسب لانزلاق الأفراد إلى سلوكيات منحرفة وفقدان الانتماء هو شعور المدمن بالتهميش، والرفض الاجتماعي، والانزعال عن جماعته، ما يؤدي إلى تقويض روابطه بالوطن.

كما ان الشعور بالعجز أمام متغيرات الحياة، والإحساس بانعدام الفاعلية، وهو ما يدفع البعض للبحث عن بدائل مؤقتة في المخدرات (Seeman, 1959, p. 785).

وبالتالي فإن الاغتراب لا يُعد فقط نتيجة، بل هو أيضًا محرك أساسي نحو تعاطي المخدرات، ما يجعل العلاقة بين الاثنين علاقة جدلية.

2. العنوان الفرعي الثاني :

ثانيا : التعريف السوسيولوجي للإدمان على المخدرات و أنواعه .

1. التعريف السوسيولوجي للإدمان:

الإدمان هو حالة نفسية وجسدية تنتج عن تعاطي مادة مخدرة بصفة متكررة ودائمة، ما يؤدي إلى اعتماد الفرد عليها وعدم قدرته على التوقف عنها رغم إدراكه لأضرارها الصحية و الإجتماعية (منصور، 2018، ص. 52).

يُعد الإدمان نوعاً من العبودية الحديثة التي تفقد الإنسان سيطرته على ذاته وتدفعه إلى سلوك تدميري (فروم، 2006، ص. 103).

كما يُعرّف الإدمان على أنه عرض من أعراض الخلل في البنية الإجتماعية والثقافية، يعكس هشاشة الاندماج الإجتماعي، وضغط التحولات القيمية، وهو ما أشار إليه علماء الاجتماع عند تفسيرهم للسلوكيات المنحرفة كنتيجة مباشرة للاضطراب في الأنساق الإجتماعية (زهير، 2021، ص. 119).

1 أسباب انتشار الإدمان بين الشباب الجزائري :

تتعدد الأسباب المؤدية إلى تفشي ظاهرة الإدمان وسط الشباب في الجزائر، ويمكن تصنيفها إلى عوامل إجتماعية، نفسية، اقتصادية وثقافية:

● الأسباب الإجتماعية:

✓ التفكك الأسري وغياب الرقابة الأسرية.

✓ ضعف التنشئة الإجتماعية، خاصة في ظل غياب مؤسسات فعالة تدمج الشباب مثل المدرسة والجمعيات.

✓ الهشاشة في العلاقات الإجتماعية وشيوع مشاعر الاغتراب والانفصال عن الجماعة.

● الأسباب الاقتصادية:

✓ البطالة والفراغ القتال، ما يولد مشاعر الإحباط واليأس.

✓ الفقر والحرمان كمحفزات للهروب من الواقع نحو المخدرات.

● الأسباب النفسية:

✓ القلق، الاكتئاب، ضعف الثقة بالنفس، وغياب الإشباع العاطفي.

✓ الضغط النفسي الإجتماعي الناجم عن عدم التلاؤم بين طموحات الفرد وإمكاناته.

● الأسباب الثقافية:

✓ غياب الخطاب الديني والثقافي المؤثر، وفقدان الهوية الثقافية الوطنية.

✓ تأثير الإعلام غير الموجه ومواقع التواصل التي تُروّج أحياناً لنماذج منحرفة.

✓ تراجع دور القيم التقليدية وانتشار ثقافة الاستهلاك واللذة السريعة.

2 الآثار الاجتماعية والثقافية للإدمان .

تُخلّف ظاهرة الإدمان تداعيات خطيرة تمس نسيج المجتمع الجزائري من عدة جوانب:

● على الصعيد الاجتماعي:

✓ تفكك الروابط الأسرية وازدياد نسبة الطلاق والمشكلات العائلية.

✓ ارتفاع معدلات الجريمة المرتبطة بالإدمان (سرقه، عنف، قتل...)

✓ انهيار الكفاءات البشرية خاصة بين فئة الشباب، ما يُضعف التنمية المجتمعية.

✓ وصمة العار الاجتماعية التي تلاحق المدمن، وتزيد من عزله وانعزاله.

● على الصعيد الثقافي:

✓ تفكك الهوية الثقافية للفرد، إذ يُصبح المدمن مقلداً لنماذج دخيلة وغريبة عن ثقافته.

✓ اختلال في منظومة القيم، حيث يُستبدل العمل والمثابرة بالمتعة السريعة والهروب من المسؤولية.

✓ استفحال ثقافة اللاجدوى و اللامعنى، والتي تغذي روح العبث والبأس.

3 الادمان على المخدرات كتجسيد سلوكي للاغتراب:

لا يمكن فهم ظاهرة الإدمان خارج سياقها السوسيولوجي العام، حيث تعكس في جوهرها اختلالاً في علاقة الفرد بمنظومته الاجتماعية والثقافية. وفي هذا الإطار، يرى روبرت ميرتون أن السلوك المنحرف، بما فيه تعاطي المخدرات، لا يُعدّ مجرد خلل نفسي، بل هو نتاج مباشر لاختلال التوازن البنوي بين الأهداف الثقافية التي يُملّيها المجتمع (كالنجاح، المكانة، الاندماج)، وبين الوسائل المشروعة المتاحة لبلوغها. وحين يُقصى الفرد - خصوصاً في فئات الشباب - من فرص التمكين الاجتماعي والاقتصادي، يُدفع نحو بدائل هامشية، كون فيها ادمان المخدرات ملاذاً رمزياً للهروب من الإحباط و اللاجدوى والتهميش (Merton, 1938).

لا يُمارَس الإدمان كفعل عبثي، بل كرد فعل، وانسحاب تدريجي من مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المسجد...)، نحو عالم آخر يحكمه منطق اللذة الفورية، وتفكك القيم. حيث يصبح الجسد وسيلة للنسيان، والعزلة آلية دفاعية في مواجهة واقع لا يقدم للفرد اعترافاً ولا معنى.

وبذلك يتقاطع تعاطي المخدرات مع أبعاد الاغتراب الاجتماعي كما حدّدها ملفن سيمن؛ فالمدمن يعيش حالة اللامعنى حين تنهار أمامه القدرة على تفسير الواقع وفهمه ضمن نسق معياري واضح، ويعيش اللامعيارية حين تتلاشى الضوابط القيمية التي توجه سلوكه نتيجة الانفصال عن المرجعيات الاجتماعية

. كما يُعاني من فقدان الانتماء نتيجة تآكل الروابط الاجتماعية، خصوصًا مع الأسرة والمجتمع المحلي، وفقدان التحكم عندما يشعر بعجزه الكامل عن توجيه مصيره واتخاذ قراراته بحرية (فرحات، 2020، ص. 98). ويصل المدمن إلى فقدان الهوية حينما تتلاشى صورته الذاتية، ولا يعود يعرف من هو أو ما الذي يمثله، ما يضعه في حالة من التصدع الوجودي والإجماعي (Fromm, 1955, p. 70).

إن الإدمان، بهذا المعنى، ليس فقط انحرافًا سلوكيًا، بل هو تجسيد حيّ لتمزق الذات الحديثة داخل مجتمعات مأزومة، حيث يصبح الجسد آخر مساحة ممكنة للتعبير عن الغضب، والانسحاب، والاحتجاج غير المعلن.

ثالثًا : مفهوم الهوية ورموزها :

الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى كيان جماعي ووطني مشترك، يجمع بين أفراد المجتمع ضمن إطار جغرافي وثقافي وتاريخي وسياسي موحد (برغوث، 2012، ص. 37). وتُعدّ الهوية نتاجًا اجتماعيًا وثقافيًا تُساهم في تشكيله مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كالأسرة، والمدرسة، والإعلام، وهي ليست معطًى ثابتًا، بل بناء اجتماعي يتأثر بالتحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية (عبد السلام، 2018، ص. 94).

2. مكونات الهوية الوطنية:

تتكوّن الهوية من عناصر متداخلة تشغل في نسق تكاملي، من أبرزها:

• اللغة:

اللغة هي الوعاء الرمزي للهوية، إذ لا تُستخدم فقط كأداة تواصل، بل تُجسد رؤية جماعية للعالم، وتحتزن التاريخ والثقافة والقيم (هول، 1996، ص. 224). وفي السياق الجزائري، تشكّل اللغة العربية بأبعادها الفصحى والعامية، إلى جانب اللغة الأمازيغية، ركائز أساسية في تشكيل الهوية (بوعرفة، 2020، ص. 61).

• الدين:

يُعد الدين محورًا مركزيًا في بناء الهوية الوطنية، حيث يمنح الأفراد مرجعية قيمية وأخلاقية مشتركة (غرايبة، 2007، ص. 103). ويُعد الإسلام في الجزائر عنصرًا روحيًا جامعا يعزز الانتماء الوطني، ويؤطر السلوك الجمعي في مختلف مجالات الحياة.

• التاريخ:

التاريخ المشترك يصوغ الذاكرة الجمعية ويولّد مشاعر الفخر والاعتزاز الوطني. ويُعتبر حدث التحرر من الاستعمار الفرنسي في الجزائر لحظة تأسيسية لبناء الهوية الحديثة (هلال، 2011، ص. 80).

• الثقافة:

تشمل الثقافة القيم والعادات والرموز والأعراف التي تميّز المجتمع عن غيره، وتشكل خصوصيته الرمزية. وتُجسّد الثقافة الوطنية في الممارسة اليومية للفرد، من خلال اللباس، والطقوس، والأغاني، والأدب، وغيرها من التعبيرات الرمزية (Geertz, 1973, p. 89).

1 أهمية الهوية في بناء التماسك الاجتماعي .

تلعب الهوية دورًا محوريًا في ضمان وحدة المجتمع واستقراره، فهي الأساس الذي تُبنى عليه العلاقات الاجتماعية، والانتماءات، والولاءات وتتمثل هذه الأهمية في النقاط التالية:

● ترسيخ الشعور بالانتماء:

الهوية تُوفر للفرد شعورًا بالانغماس في جماعة ذات جذور، ما يُقلل من مشاعر الاغتراب والتهميش.

● دعم التماسك الاجتماعي:

حين يشترك الأفراد في لغة وقيم وتاريخ مشترك، فإنهم يُطوِّرون نوعًا من الترابط الرمزي الذي يُعزز التعايش السلمي، ويُقلل من الانقسامات العرقية أو الجهوية.

● مقاومة التفكك الثقافي:

في ظل العولمة والتأثيرات الخارجية، تُعدّ الهوية خط الدفاع الأول ضد تذويب الذات الجماعية وتفكك الأنساق الثقافية.

● تحقيق الاستقرار السياسي و الاجتماعي:

الانتماء هوية وطنية راسخة يُعزز من مشروعية الدولة ويُسهّم في إنتاج مواطنين فاعلين، يضعون مصلحة الوطن فوق الاعتبارات الفردية أو الفئوية.

2 مظاهر أزمة الهوية.

يشهد العالم المعاصر تفككًا في منظومات الانتماء التقليدية نتيجة لعوامل متعددة، منها:

- ❖ العولمة الثقافية وتغلغل النماذج الغربية في البنية الثقافية للشباب.
- ❖ تراجع أدوار مؤسسات التنشئة (الأسرة، المدرسة، الإعلام).
- ❖ تنامي الشعور بالتهميش والإقصاء الاجتماعي والسياسي لدى الشباب.
- ❖ انتشار الخطابات الهويةية المتصارعة التي تضع الانتماء الوطني محل تساؤل.

3 مظاهر تفكك رموز الهوية لدى الشباب.

يتجلى هذا التفكك في عدد من المؤشرات:

- ❖ ضعف الاعتزاز بالرموز الوطنية (العلم، النشيد، اللغة الأم).
- ❖ انبهار بالنموذج الغربي إلى حد التماهي الثقافي.
- ❖ الانخراط في شبكات التواصل بوصفها فضاءات بديلة لهويات جديدة.
- ❖ القطيعة مع التاريخ الوطني، والنقد الجذري للذاكرة الجماعية.

تُعدّ الهوية إحدى الركائز الأساسية في تشكيل وعي الأفراد والجماعات داخل المجتمعات الحديثة، وهي ليست مجرد انتماء قانوني للدولة، بل منظومة من الرموز، والقيم، والتصورات الجماعية التي تُمنح الفرد إحساسًا بالانتماء والأمان والتميّز (عبد المجيد، 2017، ص. 45).

غير أن التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات العربية، ومنها المجتمع الجزائري، أفرزت أزمة حقيقية في الهوية، لا سيما لدى فئة الشباب (حمدوش، 2019، ص. 92). وفي ظل هذه الأزمة، بات من الضروري الحديث عن "إعادة بناء رموز الهوية الوطنية" بوصفها عملية حيوية لإعادة تشكيل الوعي الجمعي واستعادة الانتماء الوطني (Hall, 1992, p. 274).

وفي الأخير، إن الهوية ليست معطًى جاهزاً، بل مشروع دائم التكوين والتجدد. وإعادة بناء رموزها في وعي الشباب تُمثل أولوية استراتيجية لكل مجتمع يطمح إلى الاستقرار، التماسك، والنهضة. ولتحقيق ذلك، لا بد من مقارنة تشاركية تتكامل فيها أدوار المدرسة، الإعلام، الدولة، والمجتمع المدني، من أجل خلق هوية وطنية حيّة، دينامية، قادرة على احتضان شبابها والتحدث بلغتهم (يونس، 2021، ص. 131).

الفصل الثاني: تحليل العلاقة بين إدمان المخدرات وتفكك رموز الهوية الوطنية

1 دور المخدرات في تفكيك الهوية.

الهوية هي تلك البنية الرمزية التي تمنح الفرد إحساساً بالانتماء، وهي تتشكل من مجموعة من العناصر مثل اللغة، التاريخ، الثقافة، الدين، والذاكرة الجماعية. لكن هذه الهوية، في ظل تحديات الحداثة، أصبحت مهددة بالتآكل والانحطاط.

ويعتبر تعاطي المخدرات من أهم العوامل المؤدية إلى تقويض رموز الهوية و ذلك من خلال إضعاف الروابط بالثقافة المحلية، وتراجع الإحساس بالولاء والانتماء، وتفضيل أنماط سلوكية وثقافية مستوردة على الوطنية الأصيلة، و يتحول المدمن، بفعل اغترابه، يسعى إلى محاكاة هويات غريبة، ما يفتح المجال أمام تغلغل ثقافات فرعية تُروج للمخدرات كجزء من نمط حياة "عصري".

ففي دراسة ميدانية أجراها معهد العلوم الاجتماعية بجامعة وهران (2021) على عينة مكونة من 600 شاب جزائري، تبين أن 72% من المدمنين على المخدرات يتبنون سلوكيات ثقافية دخيلة، مثل تقليد أنماط اللباس والموسيقى واللغة التي لا تنتمي للسياق الثقافي الوطني، ما يعكس انفصالهم عن القيم الوطنية الراسخة (جامعة وهران، 2021، ص. 58).

إن هذا التبنى للثقافات الدخيلة أو ما يسمى أحياناً بـ"الثقافات البديلة" لا يُمثل مجرد اختيار شخصي، بل يعكس تحولاً في البنية الرمزية للانتماء، ويهدد تماسك الهوية و يساهم في تآكلها لدى هؤلاء الشباب (بوزيدي، 2018، ص. 119).

2 تأثير الإدمان على مكونات الهوية،

يمثل الإدمان، باعتباره ظاهرة اجتماعية ونفسية، تهديداً عميقاً للهوية الوطنية، ليس فقط على المستوى الفردي بل على مستوى البنية الثقافية و الاجتماعية للمجتمع ككل. فهو يساهم في تفكيك المكونات الأساسية للهوية عبر التآكل التدريجي للانتماء الرمزي، والانحلال عن المرجعيات القيمية. ويمكن تتبع هذا التأثير وفق المحاور الآتية:

● تأثير الإدمان على اللغة والثقافة المحلية .

يؤدي الإدمان إلى تشويه النسق الرمزي والثقافي الذي تُعبر عنه اللغة والعادات والقيم اليومية، وذلك من خلال:

✓ تفريغ اللغة من وظيفتها الثقافية و الاجتماعية، إذ يلاحظ لدى المدمنين استخدام مفردات دخيلة (غالباً مأخوذة من الشارع أو شبكات الانحراف) تُعبر عن حالة انفصال عن اللسان الجماعي، بما يُؤشر إلى بداية التشوه الهوياتي (بوعكاز، 2021، ص. 77).

✓ فقدان التواصل مع الثقافة المحلية، فالشباب المدمن يميل إلى تقليد نماذج ثقافية غريبة، غالباً مستوردة عبر شبكات الإنترنت أو الوسائط الغريبة، ما يعكس القطيعة مع التراث الثقافي المحلي (اللباس، الموسيقى، الممارسات الاجتماعية) (منصوري، 2018، ص. 113).

✓ تأكل الرمزية الاجتماعية للمناسبات الدينية والوطنية، حيث يصبح المدمن غير مبالٍ بالقيم التي تحملها هذه المخطات في الوعي الجمعي (فرحات، 2020، ص. 91).

بذلك يُمكن القول إن الإدمان يُضعف الوظيفة التربوية للغة والثقافة، ويحوّل الفرد من كائن منتمٍ إلى كائن مشوش ثقافيًا، يعيش خارج المعنى المشترك.

• تراجع الانتماء الديني و التاريخي.

لإدمان يحدث انفصالًا تدريجيًا عن المرجعيات الدينية والتاريخية التي تُشكّل قلب الهوية الوطنية.

من الناحية الدينية، يتلاشى الضمير الأخلاقي والديني لدى المدمن، حيث تتحول الحاجة إلى المادة المخدرة إلى أولوية قصوى، ما يؤدي إلى انخيار الحواجز القيمية التي يفرضها الدين، مثل التحريم، ومراقبة الذات (فرحات، 2020، ص. 104). يُصبح المدمن أقل انخراطًا في الشعائر الدينية مثل الصلاة، الصوم، وحضور الجماعات، وأقل تأثرًا بالمضامين الروحية، ما يعزز شعورًا داخليًا بالغرابة الدينية وفقدان البوصلة الأخلاقية (العقبي، 2017، ص. 89).

أما تاريخيًا، فالإدمان يُضعف العلاقة بالذاكرة الجماعية، حيث يغيب الإحساس بالمسؤولية التاريخية تجاه الوطن، ويحلّ محله شعور باللامبالاة والقطيعة مع ماضي الجماعة ونضالاتها، وخاصة ما يتعلق بالرموز التحررية والاستقلالية، وهو ما ينعكس في تراجع الارتباط بالرموز الوطنية مثل الثورة والاستقلال والشخصيات المرجعية (بوثلجة، 2019، ص. 134).

• الانفصال عن الرموز الوطنية.

تُعد الرموز الوطنية (مثل العلم، النشيد، الشهداء، الشخصيات التاريخية...) أعمدة مركزية في بناء الشعور بالانتماء الوطني. غير أن الإدمان ينسف هذا الشعور من خلال تفريغ الرموز من معناها المقدّس، إذ يصبح المدمن غير معني بها، أو يراها مجرد شعارات فارغة لا تعني شيئًا في ظل وضعه الهامشي (بن عيسى، 2021، ص. 73).

في كثير من الحالات، يُعاني المدمن من احتقار الذات الوطنية، ويرى في الوطن "مكانًا طاردًا"، ما يدفعه إلى الحنين إلى "الآخر" والانبهار بثقافات دخيلة، كتعويض نفسي عن فقدان المعنى والانتماء (جمعة، 2019، ص. 91).

يؤدي هذا الانفصال إلى تمزيق الانتماء الجماعي، وتحول المدمن إلى كائن منعزل، لا يحمل ولاءً لأي رمز أو قيمة أو جماعة.

إن الإدمان لا يهدد فقط الجسد والسلوك، بل هو قوة هدامة للهوية الوطنية بكل مكوناتها، من اللغة والثقافة، إلى الدين والتاريخ، وصولًا إلى الرموز الجامعة (خالد، 2020، ص. 128). وكلما زاد عدد الشباب الواقعين في فخ الإدمان، زادت خطورة الانخيار الرمزي، وتعمقت أزمة الانتماء الوطني، ما يفرض ضرورة النظر إلى ظاهرة الإدمان كتهديد وجودي لهوية المجتمع نفسه، وليس فقط كحالة مرضية فردية.

3 لإدمان كأداة للهروب من الواقع الاجتماعي

في المجتمعات التي يُعاني فيها الشباب من الضغوط المتراكمة والإقصاء، يصبح الإدمان أكثر من مجرد انحراف سلوكي أو انحلال أخلاقي؛ بل يتحوّل إلى آلية دفاعية نفسية و اجتماعية للهروب من واقع معقّد ومأزوم (فرحات، 2020، ص. 55). فالشباب المدمن لا يسعى فقط إلى اللذة، بل إلى نفي الواقع القائم والانسحاب منه، وهو ما يندرج ضمن منطق الاغتراب الاجتماعي، حيث يعيش كثير من الشباب في سياقات حضرية مهمّشة، حيث تهيمن مظاهر البطالة، الفقر، عدم تكافؤ الفرص، وانعدام الأفق المستقبلي (منصوري، 2018، ص. 112).

هذه الظروف تخلق بيئة مثقلة بالضغط النفسي و الاجتماعي، وتُغذّي الشعور باللاجدوى. وهكذا تصبح المخدرات وسيلة للهروب من واقع مرفوض، أكثر من كونها رغبة في المتعة، وهذا ما يجعلها مرتبطة جوهرياً بظروف إجتماعية-اقتصادية مختلة (بوعكاز، 2021، ص. 97).

4 دور الإدمان في تعزيز الشعور بالاغتراب والانفصال عن المجتمع

إذا كانت الضغوط هي السبب في اللجوء إلى الإدمان، فإن المخدرات نفسها تعمّق هذا الوضع من خلال تعزيز الشعور بالعزلة والاغتراب، حيث يبدأ الشاب في الانسحاب من الأنشطة الاجتماعية والابتعاد عن الأسرة والمؤسسات والإحساس بعدم الانتماء، إذ يفقد المدمن الإحساس بدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ويشعر أن المجتمع قد تخلى عنه. تتآكل لديه الهوية الاجتماعية والوطنية، فيتحول إلى كائن بلا ارتباطات حقيقية، ويبدأ في تبني سلوكيات تدمرية أو لا مبالية تجاه القيم والرموز الاجتماعية (فرحات، 2020، ص. 65).

وهنا يدرك المدمن أنه منبوذ أو غير مقبول داخل المجتمع، ما يكرّس لديه الإحساس بالانفصال ويعيد إنتاج حالة الاغتراب، وبهذا، يتحول الإدمان إلى دائرة مغلقة: يبدأ كوسيلة للهروب من الواقع، لكنه ينتهي إلى تعميم قطيعة كاملة مع هذا الواقع، وتعميق الشعور بالانتماء (بوعكاز، 2021، ص. 82).

5 سبل تعزيز الهوية ومواجهة ظاهرة الإدمان

دور الأسرة في تعزيز الهوية :

✓ تُشكّل الأسرة والمجتمع المدني معاً خط الدفاع الأول ضد الانحراف والاغتراب، وذلك من خلال بناء فضاءات تواصلية حقيقية، ومبادرات قاعدية تُعيد للشباب قيم الانتماء، الثقة، والفاعلية (بوعكاز، 2021، ص. 102). فحين تشتغل الأسرة كخلية أولى للتنشئة السليمة، تنعزز فرص الشباب في الوقاية من السقوط في دوامة الإدمان والاغتراب، ويُعاد ترميم العلاقة المكسورة بين الفرد ومحضنه الأول وهو الأسرة .

✓ تعزيز التواصل داخل الأسرة فالأسرة هي النواة الأولى للتماسك الاجتماعي، ومصدر الأمن الرمز و العاطفي للفرد , وكلما ضعفت الروابط داخلها، زادت احتمالات اللجوء إلى الانحراف كوسيلة تعويض .

✓ يلعب الحوار الأسري دوراً جوهرياً في فهم مشاكل الأبناء ومواكبة تحولاتهم النفسية والسلوكية فغياب الحنان، أو التسلّط القهري، عوامل تؤدي إلى تفكك العلاقة بين الآباء والأبناء، ما يُفسح المجال لتسرّب قيم منحرفة.

✓ على الأسرة أن تنتقل من نموذج السلطة إلى نموذج المرافقة والدعم، بما يُعزّز ثقة الشاب بذاته وبانتمائه العائلي.

✓ الأسرة التي تُشعر الشاب بأنه مسموع ومحترم، تُقلّل من قابليته للهروب أو الوقوع في فخ المخدرات.

✓ فالتماسك الأسري ليس مجرد حضور مادي، بل علاقة قائمة على القبول، الثقة، والرعاية، وهي قيم أساسية في الوقاية من الاغتراب والإدمان.

دور المؤسسات التربوية و الثقافية في تعزيز الهوية :

تمثل المؤسسات التربوية والثقافية جدار الحماية الأول ضد مظاهر الانحراف والاعترا ب، وعلى رأسها الإدمان. ومن خلال منهجية واعية قائمة على تعزيز الهوية الوطنية، والتثقيف الوقائي، وفتح فضاءات بديلة للشباب، يمكن لهذه المؤسسات أن تُحدث فرقاً حقيقياً في إعادة دمج الشباب في المجتمع، وتقوية صلتهم بذاتهم وهويتهم (فرحات، 2020، ص. 78).

ومن أهم هذه المؤسسات: المدرسة، التي تُعتبر قناة أساسية لغرس القيم والانتماء، والمراكز الثقافية التي تُوفّر بدائل إيجابية للتعبير والمشاركة، إضافة إلى الإعلام الهادف الذي يمكن أن يسهم في بناء وعي جماعي مضاد لثقافة الانسحاب والانحراف (منصوري، 2018، ص. 147).

السبل ما يلي :

- ✓ تعزيز المناهج التعليمية بالقيم الوطنية فالمناهج الدراسية ليست فقط وسيلة لاكتساب المعرفة، بل هي أيضاً أداة لتشكيل الوعي الجمعي، وبناء الشعور بالانتماء والهوية.
- ✓ تنظيم حملات توعية حول مخاطر الإدمان حيث تلعب المؤسسات التربوية والثقافية دوراً محورياً في الوقاية من تعاطي المخدرات عبر التوعية والتثقيف.
- ✓ : يجب أن تُطلق هذه المؤسسات حملات دورية وهادفة تُحاكي واقع الشباب بلغتهم وقضاياهم، لا أن تكتفي بالمقاربات الوعظية أو التخويفية التقليدية مع إشراك الشباب أنفسهم في تصميم وتنفيذ هذه الحملات (من خلال المسرح، الفن، وسائل التواصل...) وذلك يُعزز شعورهم بالمسؤولية ويُقوّي وعيهم الجمعي.
- ✓ تشجيع المبادرات المجتمعية لدعم الشباب فالمجتمع المدني (جمعيات، نوادٍ، منظمات شبابية، مبادرات محلية...) يشكل فاعلاً جماعياً بديلاً عن المؤسسات الرسمية في ملء الفراغ الاجتماعي والثقافي الذي يعانيه الشباب.
- ✓ المبادرات المجتمعية قادرة على توفير فضاءات بديلة ذات مغزى، تُمكن الشباب من التعبير والمشاركة والانتماء عبر الورش التكوينية، الحملات التوعوية، المشاريع التشاركية، يمكن للمجتمع المدني أن يُعيد دمج الشباب في النسيج المجتمعي ويُضعف قابليتهم للانسحاب أو الانحراف.
- ✓ تُشكل الأسرة والمجتمع المدني معاً خط الدفاع الأول ضد الانحراف والاعترا ب، وذلك من خلال بناء فضاءات تواصلية حقيقية، ومبادرات قاعدية تُعيد للشباب قيم الانتماء، الثقة، والفاعلية.
- ✓ ففي غياب هذا الدور، يبقى الشاب عُرضة للفراغ، والتهميش، والانزلاق نحو سلوكيات تدميرية، على رأسها الإدمان، الذي يُمثّل في النهاية مرآة لاختلال العلاقات الاجتماعية في أقرب مستوياتها.

دور الحكومية في تعزيز الهوية.

لا يمكن تجاهل مسؤولية الدولة كفاعل محوري في وضع السياسات الوقائية، وبناء الأطر الحامية للنسيج المجتمعي. فغياب الرؤية الحكومية المتكاملة يؤدي إلى تفشي الشعور بالاغتراب، وفقدان الانتماء، وتآكل الهوية (منصوري، 2018، ص. 134).

ومن هذا المنطلق، ينبغي أن تكون السياسات الحكومية متعددة الأبعاد، تستند إلى مقارنة إجتماعية-تنموية شاملة لا تختزل الظاهرة في بعدها الأمني فقط، بل تعالج جذورها البنيوية المرتبطة بالتهميش، البطالة، وضعف الاندماج الاجتماعي (بوعكاز، 2021، ص. 96).

● أولاً: وضع استراتيجيات وطنية شاملة لمكافحة الإدمان :

تعاني السياسات المتعلقة بمكافحة الإدمان في كثير من البلدان من التشتت، والارتكاز على المقاربة الزجرية، دون معالجة الجذور الاجتماعية والاقتصادية للمشكلة. من هنا تبرز الحاجة إلى:

- صياغة استراتيجية وطنية متعددة القطاعات (الصحة، التعليم، الشغل، الأسرة، الإعلام...) تستهدف الوقاية، والعلاج، وإعادة الإدماج.
- توفير مراكز علاج متخصصة ومجانية يسهل الوصول إليها، مع ضمان الرعاية النفسية والاجتماعية للمتفاعلين.
- دعم البحث العلمي والدراسات الميدانية لفهم الديناميكيات الجديدة لتعاطي المخدرات في الوسط الحضري.
- إشراك المجتمع المدني والخبراء والمربين في تصميم هذه الاستراتيجيات، بما يعزز النجاعة المجتمعية للبرامج الوقائية.
- فمكافحة الإدمان ليست فقط مسألة أمنية، بل معركة في سبيل العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية وبناء الشعور بالانتماء.

ثانياً: تعزيز فرص العمل والتكوين المهني للشباب .

يرتبط الإدمان، بشكل وثيق، بحالة الفراغ، وانعدام الأفق، والبطالة التي يعيشها قطاع واسع من الشباب. لذا فإن تمكينهم اقتصادياً هو شرط أساسي للوقاية:

- توفير برامج تكوين مهني تتلاءم مع حاجيات السوق، وتفتح أمام الشباب فرصاً حقيقية لبناء مسار مهني منتج.
- دعم المقاولات الناشئة، وتسهيل ولوج الشباب إلى المبادرات الاقتصادية عبر التمويل المصغر والمرافقة التقنية.
- إدماج فئة الشباب في المشاريع التنموية المحلية، بما يمنحهم دوراً فاعلاً في بناء المجتمع ويعزز شعورهم بالجدوى والانتماء.
- تشغيل الشباب ليس فقط ضرورة اقتصادية، بل وسيلة سوسولوجية لقطع الطريق أمام الانحراف والاغتراب.

و تعبر السياسات الحكومية الشاملة و الدقيقة عن مدى التزام الدولة بحماية فئة الشباب من التهميش والانحراف، وهي بذلك مسؤولة عن بناء الإطار المؤسسي والقيمي الذي يعزز الانتماء ويحارب الإقصاء.

فالإدمان ليس فقط إخفاقاً فردياً، بل نتيجة مباشرة لاختلال السياسات العامة، وغياب الرؤية الشاملة للعدالة الاجتماعية و إن تمكين الشباب، ثقافياً واقتصادياً ومؤسسياً، هو الطريق الأنجع نحو تعزيز الهوية الوطنية، وتقليص مظاهر الاغتراب الاجتماعي .

4. نحو إعادة بناء رموز الهوية الوطنية

إعادة بناء رموز الهوية لا تعني الرجوع إلى الماضي بتقليديته، بل تعني استعادة الروح الحية للرموز بطريقة تفاعلية وعصرية. ويمكن تحديد مداخل هذه العملية فيما يلي:

أ. إعادة الاعتبار للمدرسة كفضاء لصناعة الانتماء: ينبغي تجديد المناهج التربوية لتكون أكثر تحفيزاً على الفخر بالوطن، وتعزيز التفكير النقدي المنفتح لا الحفظ البيغاني للشعارات.

ب. توظيف الثقافة والفنون: الفن والموسيقى والسينما هي أدوات فعالة في صناعة الرموز وتثبيت الهوية، خاصة حين تلامس وجدان الشباب.

ج. الإعلام الوطني الجديد: الإعلام الرقمي يمكن أن يتحول إلى أداة استراتيجية في نشر سرديات وطنية معاصرة، بلغة الشباب ومن داخل فضاءاتهم.

د. استحضار الرموز التاريخية بصيغة حديثة: بدل تقديم الرموز التاريخية على نحو نمطي، يمكن إعادة إنتاجها في شكل قصص، أفلام، ألعاب إلكترونية، تجعل منها جزءاً من الذاكرة النشطة.

1. اهم الرهانات و المخاطر التي تهدد عملية اعادة بناء رموز الهوية الوطنية.

تعتبر عملية إعادة بناء الرموز الوطنية مهمة ليست سهلة، بل تواجه عدة تحديات، أهمها:

✓ مقاومة بعض الفئات الشابة التي فقدت الثقة في المؤسسات.

✓ الهيمنة الثقافية للمركزيات العالمية التي تفرض رموزاً بديلة.

✓ صعوبة إقناع الجيل الجديد برموز لم يعد يراها تمثله فعلياً.

لكن، ورغم هذه الصعوبات، فإن عدم المبادرة لإعادة تشكيل الرموز الوطنية قد يؤدي إلى فراغ هوياتي خطير يُستغل من قبل مشاريع مضادة للانتماء الوطني.

III- النتائج ومناقشتها :

النتائج المستخلصة من الدراسة.

بعد تحليل ظاهرة الإدمان في علاقتها بالاعترا ب الإجماعى وتفكك الهوية لدى الشباب في الوسط الحضري، أمكن استخلاص النتائج التالية:

● أولاً: الإدمان ظاهرة إجتماعية بامتياز تتجاوز البعد الطبى أو الأخلاقى

أظهرت الدراسة أن تعاطي المخدرات بين الشباب لا يمكن اختزاله في الجانب المرضي أو القانوني فقط، بل هو تعبير عن أزمة إجتماعية عميقة، تتجلى في انقطاع الصلة بين الفرد ومجتمعه، وبين الذات وهويتها.

إن الإدمان يُعدّ، في كثير من الحالات، آلية هروب من واقع إجتماعي ضاغط، ومن مشاعر اللامعنى، و اللامعيارية، والعزلة، مما يجعل قراءته من منظور سوسيولوجي ضرورة علمية.

● ثانيًا: الاغتراب الإجتماعي يشكل الإطار المفاهيمي الأكثر تفسيرًا لتعاطي المخدرات

توصلت الدراسة إلى أن أبعاد الاغتراب كما صاغها ملفن سيمن (اللامعنى، اللامعيارية، فقدان الانتماء، فقدان التحكم، فقدان الهوية) تتجلى بشكل صارخ لدى الشباب المدمنين.

تعاطي المخدرات يُعدّ أحد المؤشرات السلوكية للانفصال الإجتماعي وفقدان الاندماج في النسيج الرمزي والثقافي الوطني.

● ثالثًا: الإدمان يهدد بشكل مباشر مكونات الهوية الوطنية

أظهر التحليل أن المدمن غالبًا ما يعيش حالة انفصال رمزي عن مكوناته الوطنية (اللغة، الدين، التاريخ، الثقافة)، ويُصاب بنوع من الغربة الذاتية تجاه المجتمع.

● رابعًا: ضعف الأطر الوقائية والتربوية يفاقم الظاهرة

كشفت الدراسة وجود قصور واضح في أداء المؤسسات التربوية والثقافية، إلى جانب غياب الرؤية المتكاملة في السياسات الحكومية لمكافحة الإدمان وإن غياب البدائل المجتمعية الفعالة، وتآكل دور الأسرة، يُسهم في تعميق مشاعر الاغتراب والعزلة، مما يُمهّد لانحراف الشباب نحو المخدرات.

توصيات لتعزيز الهوية و مواجهة الاغتراب الإجتماعي .

وبناءً على ما سبق، تقترح الدراسة جملة من التوصيات العملية:

✓ تبني مقاربة سوسيولوجية شاملة في معالجة ظاهرة الإدمان، تأخذ بعين الاعتبار العوامل البنيوية (الاقتصادية، الثقافية، الرمزية).

✓ إعادة تأهيل المناهج التعليمية لتكون حاملة لقيم الهوية الوطنية، وتعزز الوعي بالذات والانتماء.

✓ تفعيل دور الأسرة والمجتمع المدني في الوقاية المبكرة، واحتواء الشباب في فضاءات دعم وتكوين وتعبير.

✓ إطلاق استراتيجيات وطنية شبابية متعددة الأبعاد تُركّز على التكوين، الشغل، الترفيه، والدعم النفسي.

✓ تحويل المؤسسات الثقافية إلى مراكز مقاومة رمزية للاغتراب، من خلال أنشطة فنية، حوارية، ومبادرات شبابية تُعزّز الاندماج والمواطنة.

✓ تحفيز البحث العلمي في سوسيولوجيا الانحراف والهوية، لبناء سياسات تستند إلى معطيات ميدانية دقيقة.

IV- الخلاصة:

خاتمة

وعلى ضوء ما تقدم من تحليل سوسيولوجي لظاهرة تعاطي المخدرات في أوساط الشباب واثرها على الهوية يبرز بوضوح حقيقة مفادها أن الإدمان لا يمكن قراءته بوصفه مجرد انحراف سلوكي فردي أو اضطراب نفسي معزول، بل هو انعكاس لأزمة أعمق تتعلق باختيار منظومة الانتماء للمجتمع ، وتفكك لرموز الهوية بوصفها نسيجاً معقداً يتشكل في تفاعل مستمر بين الفرد ومحيطه الثقافي والاجتماعي .

وعليه فالشباب في ظل هذه التغيرات يجد نفسه في مواجهة هوية مشوشة لا تمنحهم الشعور بالانتماء ولا توفر لهم نماذج مرجعية مستقرة، ما يجعلهم فريسة سهلة للبحث عن بدائل للهروب من واقعهم المزري ، و من هذا المنطلق فإن مواجهة الإدمان لا تكتمل دون مقارنة متكاملة للظاهرة تأتي في مقدمتها إعادة بناء الهوية الجماعية بطريقة شمولية

إنّ إعادة ترميم الهوية الوطنية لدى الشباب ينبغي أن تكون مشروعاً استراتيجياً طويل المدى، تُسهم فيه المدرسة بوصفها مؤسسة التنشئة الأولى، و يواكبه الإعلام عبر تقديم رموز هوياتية إيجابية ، وتدعمه الدولة من خلال برامج و سياسات ينخرط فيها المجتمع برمته عبر برامج وقائية هادفة . فبناء هوية وطنية صحيحة هو الضمان الحقيقي لتحسين الشباب من السقوط في فخ الإدمان، و الانجراف نحو الانفصال عن مجتمعه و قيمه و مبادئه .

وفي النهاية فإن الهوية ليست معطى جاهزاً، بل مشروع دائم و متجدد و أن إعادة بنائها يمثل أولوية استراتيجية لكل مجتمع يطمح إلى الاستقرار و التماسك ، ولتحقيق ذلك لا بد من استراتيجية تتكامل فيها أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية من أجل خلق هوية وطنية قادرة على الحفاظ على الشباب و مستقبله .

المراجع :

ولاً: المراجع العربية :

- 1 أبو زيد، أحمد. (2009). الهوية والانتماء في عصر العولمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 2 بوعكاز، نادية. (2021). سوسيولوجيا التهميش والمخدرات في أوساط الشباب. قسنطينة: منشورات جامعة قسنطينة.
- 3 بوعرفة، نبيلة. (2020). اللغة والهوية في الجزائر. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2018، 57-69.
- 4 بوزيدي، كمال. (2018). الهوية في ظل التحولات الثقافية المعاصرة. الجزائر: دار الهدى.
- 5 برغوث، عبد القادر. (2012). الهوية في ظل التغيرات العالمية. الجزائر: منشورات جامعة الجزائر.
- 6 بن طيب، نوال. (2018). الاغتراب الاجتماعي عند الشباب الجزائري: دراسة ميدانية. الجزائر: الدار الجامعية للنشر.
- 7 بن عيسى، هشام. (2021). سوسيولوجيا الرموز الوطنية والتحولات الثقافية لدى الشباب. الجزائر: دار الأمل.
- 8 بولجعة، ياسين. (2019). تفكك الهوية في ظل التغيرات الاجتماعية. وهران: منشورات جامعة وهران.
- 9 جامعة وهران – معهد العلوم الاجتماعية. (2021). تقرير بحث ميداني حول الشباب والإدمان الثقافي في الجزائر. وهران.
- 10 جمعة، فاطمة. (2019). الهوية والانتماء في زمن الاغتراب الثقافي. بيروت: المركز العربي للأبحاث.
- 11 دوركايم، إميل. (2005). الانتحار: دراسة في علم الاجتماع (ترجمة: غير مذكورة). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 12 زهير، نسرین. (2021). تفكك البنية الاجتماعية وتحولات القيم لدى الشباب العربي. عمان: دار أسامة.
- 13 سعد، خالد. (2020). الإدمان والهوية الوطنية: مقارنة سوسيولوجية. بيروت: دار الرشاد.
- 14 سلحاني، محمد. (2023). أشهرها الصاروخ والتاكسي والحمران.. المهلوسات خطر يورق الجزائر. الجزيرة نت <https://www.aljazeera.net>.
- 15 صلاح، عادل. (2004). الأبعاد الاجتماعية والنفسية والتربوية لتعاطي المخدرات. الجزيرة نت <https://www.aljazeera.net>.
- 16 عبد السلام، زكريا. (2018). الهوية والتحولات الاجتماعية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 17 عبد المجيد، أمينة. (2017). الشباب والهوية في الجزائر: بين الثبات والتحول. الجزائر: دار الأمل.
- 18 عبد المتعال، صابر. (2004). الأبعاد النفسية والاجتماعية لتعاطي المخدرات. الجزيرة نت. الجزيرة نت. (بدون تاريخ) <https://www.aljazeera.net>.
- 19 عبد الحميد، حسن. (2014). الاغتراب الاجتماعي وتعاطي المخدرات لدى الشباب الحضري: دراسة سوسيولوجية ميدانية. القاهرة: دار الوفاء.
- 20 العقبي، نجوى. (2017). الوازع الديني والانحراف السلوكي لدى الشباب. قسنطينة: دار المعرفة الجامعية.

- 21 غرايبة، حسن. (2007). الدين والهوية في المجتمعات العربية. عمان: دار البازوري.
- 22 فرحات، سناء. (2020). الانحراف والمخدرات: قراءة سوسيولوجية. الجزائر: دار القصة.
- 23 فرحات، سناء. (2020). الانحراف والإدمان في المجتمع الجزائري: مقاربة سوسيولوجية. الجزائر: دار القصة.
- 24 فرحات، سناء. (2020). الإدمان وظاهرة الاغتراب في المجتمع الحضري. الجزائر: دار الخلدونية.
- 25 فروم، إريك. (2006). الهروب من الحرية (ترجمة: مصطفى صفوان). القاهرة: دار الشروق.
- 26 فتيحة، حنان. (2019). التحولات الاجتماعية وأزمة الهوية عند الشباب. مجلة العلوم الاجتماعية، 2014، 87-98.
- 27 نوال، ياسمين. (2021). إعادة بناء الهوية لدى الشباب الجزائري: دراسة ميدانية. قسنطينة: منشورات جامعة الإخوة منتوري.
- 28 خلة، عفاف. (2024). الهوية العربية.. منجز لم ينجز! مجتمع للدراسات الثقافية والتاريخية <https://www.muajtama.org>.
- 29 نذير، خالد. (2020). الإدمان كتهديد للتماسك الاجتماعي والهوية. وهران: مخبر علم الاجتماع الثقافي.
- 30 يونس، نور الدين. (2021). إعادة بناء الهوية لدى الشباب الجزائري. قسنطينة: منشورات جامعة منتوري.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 31 Baum, Dan. (1996). *Smoke and mirrors: The war on drugs and the politics of failure*. Boston: Little, Brown and Company.
- 32 Duster, Troy. (1970). *The legislation of morality: Law, drugs, and moral judgment*. New York: Free Press.
- 33 Durkheim, Émile. (1897). *Le suicide: Étude de sociologie*. Paris: Félix Alcan.
- 34 Fromm, Erich. (1955). *The sane society*. New York: Rinehart.
- 35 Geertz, Clifford. (1973). *The interpretation of cultures*. New York: Basic Books.
- 36 Giddens, Anthony, Lash, Scott, & McGrew, Tony (Eds.). (1994). *Modernity and its futures* (pp. 273-325). Cambridge: Polity Press.
- 37 Marx, Karl. (1844). *Economic and philosophic manuscripts of 1844*. In D. McLellan (Ed.), *Karl Marx: Selected writings*. Oxford: Oxford University Press.
- 38 Schwarz, Shaul (Director). (2013). *Narco Cultura* [Film]. Parts & Labor, Ocean Size Pictures, K5 Intl.
- 39 Seeman, Melvin. (1959). On the meaning of alienation. *American Sociological Review*, 24(6), 783-791.
- 40 <https://elaph.com>. العاصي، حسن. (2024). تأثير التناقض على تعاطي المخدرات والكحول بين المراهقين. إيلاف
- 41 Hall, Stuart. (1996). Cultural identity and diaspora. In P. Mongia (Ed.), *Contemporary postcolonial theory: A reader* (pp. 110-121). London: Arnold.
- 42 Marx, Karl. (1977). *Selected writings* (D. McLellan, Ed.). Oxford: Oxford University Press.